أ. مصطفى بوجملين
قسم اللغة والأدب العربي
كلية الآداب واللغات

المادة: النقد الموضوعاتي
المستوى: الثالثة ليسانس
التخصص: دراسات نقدية

المحاضرة السابعة

جورج بولي
George Poulet

ناقد من أصل بلجيكي (ولد عام 1902م). عمل مدرّسا في جامعة إدامبورغ ثمّ في جامعة بالتمور، وفي زيوريخ، وأخيرا في نيس.

ولقد أنجز الناقد عدّة دراسات نقدية، والمتمثّلة في الآتي:

1- دراسات حول الزمن الإنساني

2- المسافة الداخلية

3- تحوّلات الدائرة

4- الفضاء البروستي

5- نقطة الانطلاق -دراسات حول الزمن الإنساني-

6- الدروب الحالية للنقد

7- الوعي النقدي

8- الشعر المتشظّي

9- التفكير اللامحدود، من النهضة إلى الرومانسية

إنّ الاطلاع عن الجهود النقدية لـ(جورج بولي) في مجال النقد الموضوعاتي –الجذري- هو بمثابة الإقرار بالإسهامات الكبرى له؛ فلا تخلوا الكتابات المعاصرة حول هذا الاتجاه الجديد من التنويه له، وتبيان أفكاره ومقولاته وممارساته الإجرائية للعمل الأدبي الجمالي.

ويجدر التنويه إلى أنّ مقاربته للأعمال الإبداعية تنطلق من رؤية ميتافيزيقية، مستندا في ذلك على كتابات باشلار حول الزمان، ومقاربته لمفهوم اللحظة التي جاءت ضدا على التصور الاستمراري للزمان، الذي كان يجسده بامتياز برجسون . فبدراسة السلوك الجوهري، لكاتب ومبدع أمام المكان والزمان، حاول بولي الوقوف على مختلف مظاهر الوعي الأدبي، وكذا البحث في الوضعية الأولية التي يعيشها ويتحملها كل كاتب، وينزع لا واعيا، إلى التملص منها أو تنظيمها : حينئذ يصبح العمل علامة، انتصاره أو إخفاقه

ويحدّد بولي انطلاق النقد من الأشكال الأدبية. ويستعين بالتحليل الظاهراتي (للزمان) و(المكان) من أجل العثور على التجربة الأولى للكاتب، أو ما يسميه (كوجيتو) الكاتب.فيتساءل: ما هو الموقف الذي اتخذه الكاتب حيال (الزمان والمكان)؟.

وبالتالي، فقد كان في قراءته للأعمال الإبداعية يعكف على ما تحمله هذه الأعمال من وعي بمفهومي الزمان والمكان Le temps et L'espace. وهذا يعني أنّه كان يتّجه نحو المنقود لمعرفة وعيه بهذين المفهومين ومن هنا تأتي فكرة التوحّد L'identification بين الناقد والمنقود هذه الفكرة التي حملها بوليه وتبنّاها ريشار من أجل الوصول إلى المقولات الزمانية والمكانية الأولية التي تحدّد خصوصية الإبداع.

ويرى بولي أنّ الأشكال الأدبية ينبغي ألا تنوب عن الروح التي تبدع هذه الأشكال في العمل الأدبي، وأن على الناقد أن يكتشف النظام العقلي الذي يتمتع به الكاتب، من أجل إدراك الفعالية الروحية التي يمكن فهمها إلا إذا وضعنا أنفسنا في مكانها،

وفي منظوراتها؛ فكل ما هو خارج العمل الأدبي لا يهمّ الناقد. وكل بحث يصبح باطنياً من أجل العثور على التجربة الروحية للكاتب.

كما يشترط بولي على الناقد أن يندمج، ولو بصورة جزئية بالعمل المدروس الذي تعتبر معرفته وفهمه والاندماج فيه الغاية الحقيقة للنقد. مؤكداً بذلك على الذاتية التي ينبغي أن تسيطر، فإذا لم ينجز الناقد هذا العمل الذاتي، فإنه لن يرى إلا الأوجه الخارجية للأشياء.

ويرى في مقاله الموسوم بـ(ظاهراتية القراءة) أنّ وعي القارئ متى انغمس في النتاج الأدبي تحرّر من قيود الواقع، ومن إحساسه العادي، وأصبح يمتلك أفكار غيره، وكأنما هي أفكاره وأن فعل القراءة يعني الاندماج في العمل الأدبي الذي يصبح عقلاً يعي ذاته من خلال القارئ- الفاعل.

وتكمن أهمية وعي القارئ في النقد الموضوعاتي من خلال المفارقة التي يحدثها مع وعي المبدع من جهة والمفارقات العديدة بين القراء المتعدّدين أنفسهم من جهة أخرى؛ فالقارئ لا يكتفي بتلمّس وعي المبدع بل يوظّف إدراكه الخاص بالأشياء، ممّا يعطيه القدرة على المساهمة في إنتاج الموضوع؛ لأنّ لكلّ واحد منهم شعوره الراهن اتجاه الأشياء، وبتعدّد القراءات تتعدّد أشكال غدراك الأشياء، وبالتالي، أشكال الوعي بوجودها.

وقد ركّز النقاد الموضوعاتيون على فكرة الوعي وارتباطها الجمالي بالعملية الإبداعية واعتبروها أساسا نقديا تستمدّه الدراسة المحايثة من الجذور الميتافيزيقية لهذا المنهج حيث رأوا أنّ الفكرة الأساسية التي يمكن استخلاصها من البعد الفلسفي للنقد الموضوعاتي سواء كان محايثا أو ميتافيزيقيا هي اعتبار الإبداع عملا يمثّل وعي المبدع.

ولقد أكّد بولي على مسألة الدلالات الضمنية، أي على جوهر محتوى الوعي وهو شيء ممتدّ إلى حدود اللاوعي-، والذي يقترب من الدراسة الرمزية symbolique التي تفرض ضرورتها تأمّلات هوسرل، فالأنماط التجريبية mode expérimentales التي تنشأ عن تصوّرات الأشياء في الذهن نجد تعبيرها من خلال الرموز اللغوية بشكل حتمي

غير أنّه لا يتحدّث عن الترميز اللغوي البسيط، بل يلتقط عددا من التيمات الدلالية التي تكوّن المظهر السطحي aspect superficiel في العمل الأدبي، فيؤولها إلى دلالة رمزية مستهدفة في العمق.